

Humanities and Educational
Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2709-0302 (online)

أصول الإيمان التي خالف فيها مفسرو الخوارج منهج السلف(*)

د/ مريم بنت فائز بن عوضه الأسمرى

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد، أبها - السعودية

هذا البحث تم دعمه من خلال برنامج المجموعات الصغيرة بعمادة البحث والدراسات العليا - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية (RGP1/201/45)

تاريخ قبوله للنشر 30/7/2025

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 13/6/2025

(*) موقع المجلة:

أصول الإيمان التي خالف فيها مفسرو الخوارج منهج السلف

د/ مريم بنت فائز بن عوضه الأسمرى

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد، أبها - السعودية

الملخص

تناول هذا البحث الحديث عن أبرز أصول الإيمان التي خالف فيها مفسرو الخوارج منهج السلف الصالح في تأويل نصوص القرآن الكريم، وقد جاء هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة. تناول المبحث الأول: المفاهيم الأساسية في التعريف بالسلف والخوارج ونشأتهم وأهم فرقهم، وأصول الإيمان التي وقع فيها الخلاف، وفي المبحث الثاني كان الحديث عن المرتكزات التي اعتمد عليها الخوارج في التفسير، وأصول الإيمان المخالفة لمنهج السلف في التأويل، وختم البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج. الكلمات المفتاحية: الخوارج، تفسير الخوارج، عقيدة الخوارج.

The Fundamentals of Faith in Which the Kharijite Exegetes Contradicted the Methodology of the Salaf

Dr. Maryam bint Faiz bin Awadhah Al-Asmari

Assistant Professor, Department of Qur'an and Its Sciences

College of Sharia and Fundamentals of Religion

King Khalid University, Abha – Saudi Arabia

Abstract

This study addresses the most prominent fundamentals of faith in which the interpreters of the Kharijites deviated from the methodology of the righteous predecessors (al-Salaf al-Salih) in interpreting the texts of the Qur'an. The research is composed of an introduction, two main sections, and a conclusion. The first section discusses the basic concepts by defining the Salaf and the Kharijites, their origins, their most important sects, and the fundamentals of faith in which disagreement occurred. The second section focuses on the principles relied upon by the Kharijites in interpretation, and the fundamentals of faith that contradict the methodology of the Salaf in exegesis. The study concludes with a summary of the main findings.

Keywords: Kharijites, Kharijite interpretation, Kharijite creed.

مقدمة البحث:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

كان ظهور الفرق باكرًا في تاريخ الإسلام، وقد سعت كل فرقة إلى توطيد أركانها، وتأسيس بنائها بالدعوة إلى معتقدها، والتأليف في فكرها، وقلما تجد فرقة منها لم تجعل لها - من تفسير القرآن - سفرًا؛ تقرر فيه معتقدها وتشرح فيه آراءها، وثبتت أركان مذهبها.

وتعد فرقة الخوارج من الفرق التي انشقت عن منهج السلف، وكان ظهورها متقدمًا جدًا، حيث كانت أول فرق المبتدعة ظهورًا في تاريخ الإسلام، حيث ظهرت في زمن عثمان - رضي الله عنه، خرجت على الأمة بالسيف، وكفّرت عموم المسلمين؛ وفتن بها العوام؛ لما اتصف به ذووها من عبادة وتبتل وزهد؛ فأذت المسلمين أيمًا إيذاء، وسعت في المسلمين نكالًا وفسادًا.

ثم تطور بها الحال وامتدت، وتفرع عنها فروع أخرى تعود إليها في أصلها، وبرز منهم مفسرون على فترات متفاوتة؛ أولًا آيات الله لتوافق مذهبهم، وما لم يستطيعوا تأويله ردوه ورفضوه.

وفي هذا البحث نقف على أهم المرتكزات التي اعتمد عليها مفسرو الخوارج في تأويلهم لكتاب الله، وأبرز الأصول التي خالفوا فيها منهج السلف.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث فيما يلي:

- ١- الكشف عن منهج الخوارج المخالف لمنهج السلف في تأويل النصوص القرآنية.
- ٢- الوقوف على أهم أصول الإيمان التي دار عليها منهج الخوارج، وظهر أثرها في انحرافهم في تأويل كتاب الله تعالى.
- ٣- بيان عقيدة السلف فيما خالفهم فيه الخوارج من أصول الإيمان.
- ٤- الانتشار المعاصر للفكر الخارجي تحت أسماء وحركات متعددة.
- ٥- الحاجة الماسة لطلاب العلم للوقوف على المناهج المخالفة لعقيدة السلف الصالح.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات السابقة في دراسة أصول الخوارج العقائدية، وما خالفوا فيه منهج السلف من الأحكام والمعاملات، ولم أعتز على أي دراسة تهتم بالوقوف على تأثير عقيدتهم على ما أولوه من كتاب الله تعالى، وكيف أثرت تلك العقائد في لِي أعناق النصوص لتوافق مذهبهم، مقتصرة على مخالفتهم لمنهج السلف في أصول الإيمان من واقع تفاسيرهم.

مشكلة البحث:

سعى هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ١- من هم الخوارج؟ وما تاريخ نشأتهم؟ وأهم فرقهم؟

٢- ما مركّزات التفسير عند الخوارج وكيف خالفوا السلف في منهج الاستدلال بالقرآن؟

٣- ما المواطن التي خالف فيها مفسرو الخوارج منهج السلف في أصول الإيمان؟

أهداف البحث:

١- التعريف بالخوارج والوقوف على نشأتهم وأهم فرقهم.

٢- بيان المركّزات التي اعتمدها الخوارج عند تفسيرهم لكتاب الله.

٣- معرفة المواطن التي خالف فيها الخوارج منهج السلف في التفسير في أصول الإيمان.

منهج البحث:

اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والمقارن؛ فعند بيان المصطلحات اتبعت منهج الاستقراء والتحليل، وعند الموازنات وإظهار الفرق بين اعتقاد الخوارج واعتقاد السلف اعتمدت المنهج المقارن.

وقد سلكت في جمع مادة البحث وعرضها المنهج التالي:

- عرفت بالمصطلحات العلمية الأساسية الواردة في البحث، ورجعت في ذلك للمصادر الأصلية من كتب اللغة والأصول وغيرها من كتب التعريفات والمعاجم.

- رجعت إلى كتب مناهج المفسرين والمصنفات التي اعتنت بتاريخ التفسير عند الحديث عن المركّزات التي اعتمدها الخوارج في التفسير.

- اعتمدت في ذكر الأمثلة على ما جاء في كتب تفسير الخوارج، واكتفيت بإيرادها وبيان الشاهد منها.

- عزوت الآيات القرآنية في متن الرسالة بين المعقوفتين عقب الآية مباشرة.

- خرجت الأحاديث النبوية والآثار تخريجيًا مختصرًا، مع بيان حال الأحاديث المرفوعة، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كانت في غيرهما ذكرت حكم العلماء عليها.

- وثقت النصوص المنقولة وفقًا لشروط المجلة في النشر.

خطة البحث:

خطة هذا البحث تتكون من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، ومشكلة البحث، وأهدافه ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السلف في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الخوارج في اللغة والاصطلاح، ونشأتهم وأهم فرقهم.

المطلب الثالث: أصول الإيمان عند السلف وأبرز أصول الخلاف مع الخوارج.

المبحث الثاني: مظاهر انحراف الخوارج عن منهج السلف في التفسير:

المطلب الأول: مركّزات الخوارج في تأويل النص القرآني في ضوء أصولهم العقدية:

المطلب الثاني: انحرافهم في أصول الإيمان من واقع تفسيرهم.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: المفاهيم الأساسية

المطلب الأول: تعريف السلف في اللغة والاصطلاح

السلف في اللغة:

"السين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق، والسلف جمع سالف المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون، وسلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح^(١)."

السلف في الاصطلاح:

يراد بهم تاريخياً: أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية^(٢) وذلك في الحديث الذي رواه عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"^(٣).

والمراد بمذهب السلف:

ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خُلُقاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرض، مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء^(٤).

المطلب الثاني: تعريف الخوارج في اللغة والاصطلاح، ونشأتهم وأهم فرقهم

الخوارج في اللغة:

جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج وهو النفاذ عن الشيء، والخروج نقيض الدخول، وخارج كل شيء ظاهره، والخارجي: كل من فاق جنسه ونظائره، والخارجي من يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم^(٥).

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٩٥/٣)، لسان العرب، ابن منظور (١٥٨/٩).

(٢) انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، (ص: ٢٣٦)، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، (ص: ٢٨)، لواعق الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضئية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني (٢٠/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، (٢/٥)، رقم: (٣٦٥٠).

(٤) لواعق الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضئية في عقد الفرقة المرضية (٢٠/١).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٧٥/٢)، لسان العرب (٢٥٠/٢).

الخوارج في الاصطلاح:

جمع خارجة، أي طائفة وهم قوم مبتدعون سمو بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين^(١)، وقيل: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان^(٢). وهذا تعريف عام يشمل كل خارجي في كل زمان ومكان، سواء الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - أو من بعدهم إلى قيام الساعة أو من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم.

وعلى هذا فالخوارج أوصافٌ منطبقة، ليس لهم زمن محدد، وإن كان زمن ظهورهم في عهد الخلافة الراشدة إلا أنهم ظهوروا في أزمنة متعددة، وتحت مسميات مختلفة، أخبر عنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة"^(٣).

العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي علاقة موافقة؛ فالخروج في اللغة ضد الدخول، وفي الاصطلاح الخروج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"^(٤)، فالوصف ينطبق عليهم، فهم خارجون عن الدين، خارجون عن جماعة المسلمين.

نشأة الخوارج وتطور فرقهم:

تباينت آراء العلماء والمؤرخين في تحديد البداية التاريخية لنشأة فرقة الخوارج؛ فذهب بعضهم إلى أن بوادر ظهورهم كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بينما رأى آخرون أن النشأة الحقيقية كانت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل إنها وقعت في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سواء عند خروج طلحة والزبير عليه، أو عند انشقاق المحكمة عن جيشه، ومنهم من أرجع بدايتهم إلى خروج نافع بن الأزرق سنة (٦٤هـ).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٢٨٣/١٢).

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١١٤/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استنابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحد بعد إقامة الحجة عليهم، (١٦/٩) برقم: (٦٩٣٠).

(٤) انظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر بن عبد الكريم العقل (ص: ٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع،

(١٦٤/٥) رقم: (٤٣٥١).

وأرجح الأقوال أنهم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه بعد التحكيم، واشتبكوا معه في معركة النهروان^(١). والخوارج أول فرقة في الإسلام خرجت عن طاعة الإمام وجماعة المسلمين، وانفصلت عن وحدة الصف الإسلامي، حتى عُرفوا تاريخيًا بأهم النموذج الأول في الانشقاق العقدي والسياسي، ويرى بعض الباحثين أن الخوارج يُعدّون امتدادًا فكريًا للسبئية؛ حيث قال: "أما أول الفرق ظهورًا وافتراقًا عن إمام المسلمين وعن جماعتهم، فهي الخوارج، والخوارج نزعة نزعت من السبئية، وبعض الناس يظن أن السبئية شيء والخوارج شيء آخر، والحقيقة أن الخوارج نبتة من نبات السبئية النكدة، كما أن الشيعة نبتة من نبات السبئية النكدة، فالسبئية اُفترقت إلى فرقتين رئيسيتين، هي الخوارج والشيعة، هذا ورغم ما بين الخوارج والشيعة من بعض الفوارق، إلا أن الأصل واحد، وكلها نشأت عن أحداث الفتنة على عثمان - رضي الله عنه التي أثارها ابن سبأ بأفكاره وعقائده وأعماله، فانبجست منها أخبث العقائد حينذاك وهي الخوارج والشيعة"^(٢).

وعلى الرغم من وحدة المنطلق العقدي والسياسي لدى الخوارج، إلا أن الخلافات في الفروع والمسائل العملية سرعان ما أدت إلى انقسامات داخلية، أفرزت عددًا من الفرق المتميزة في الفكر والتنظيم، ومن أبرز هذه الفرق ما يأتي:

- ١- الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق، وقد نشطوا في زمن عبد الله بن الزبير، واشتهروا بخوضهم معارك عديدة ضده، تولى المهلب بن أبي صفرة التصدي لهم، فاستطاع القضاء عليهم وقتل زعيمهم نافعًا، وتميّز الأزارقة بالتكفير العام لعامة المسلمين، والدعوة إلى الهجرة من ديارهم بوصفهم كفارًا، وبالرغم من هزيمتهم عسكريًا، فقد استمر وجودهم الفكري حتى قضى عليهم سفيان بن الأبرد الكلبي سنة (٧٦هـ).
- ٢- النجدات: نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي، الذي أقام في اليمامة وبويع بالإمامة، وامتدت حركته إلى بعض مناطق اليمن والبحرين، ولكن الخلافات الداخلية سرعان ما شتت أتباعه إلى ثلاث فرق: العطوية، والفديكية، والنجداث، وبعد مقتل نجدة، ظهرت انشقاقات إضافية داخل فرقته.
- ٣- الإباضية: تنسب إلى عبد الله بن إباح التميمي، وقيل إنها نسبت إلى قرية تُدعى "إباح" في اليمامة، وقد كان ابن إباح من أتباع نافع بن الأزرق، لكنه خالفه في بعض المسائل، ولا سيما المتعلقة باستحلال دماء وأموال المخالفين، وقتل من لا يهاجر إليهم من المسلمين، وتُعدّ الإباضية من أكثر فرق الخوارج بقاءً وانتشارًا، وقد تطورت لاحقًا إلى مدارس فكرية متعددة.

(١) انظر: فرق معاصرة: د. غالب عواجي، (٢٣٢-٢٣٣).

(٢) دروس الشيخ ناصر العقل، الافتراق مفهومه أسبابه سبل الوقاية منه (١٠/٢).

(٢) انظر: الملل والنحل (١٣٧/١)، فرق معاصرة (٢٣٢-٢٣٣)، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، إسماعيل العربي (ص: ٣٦٧).

٤- الصفورية: ينتسبون إلى زياد بن الأصفر، وقد انفصلوا عن الأزارقة بسبب موقفهم من قضية الاستعراض، أي قتل النساء والأطفال من مخالفيهم، برز نشاطهم في تمردهم على عبد الملك بن مروان، وساهموا في نشر مذهبهم في المغرب، ومن هناك انتقل إلى الأندلس حيث أسسوا دولة بني مدرار، غير أن وجودهم اندمج تدريجياً في الإباضية إلى أن تلاشت معالمهم كفرقة مستقلة^(١).

المطلب الثالث: أركان الإيمان عند السلف ومواطن الخلاف فيها مع الخوارج

أولاً: أركان الإيمان عند السلف

يُعدّ الإيمان من أعظم أصول الدين، وقد أجمع على أنّه يشمل التصديق والانقياد والامتناع، غير أن الفرق الإسلامية قد اختلفت في حقيقته وماهيته، وكان لهذا الخلاف أثر كبير في الفهم والتطبيق، وقد تميّز منهج السلف الصالح - رضي الله عنهم - في باب الإيمان بالوسطية والاعتدال، مقابل الغلو الذي وقع فيه الخوارج. فقد أجمع السلف الصالح على أن الإيمان يشمل ستة أركان جاءت مجملة في حديث جبريل عليه السلام، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتفصيل موقفهم من الإيمان يتّضح في تعريف الإيمان: يرى السلف أن الإيمان هو قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا التعريف جامعٌ لمفهوم الإيمان في بعده النظرية والعملية، بخلاف من قصره على مجرد التصديق القلبي.

كما يقر السلف بتفاوت الناس في مراتب الإيمان، ويثبتون التفاضل بين المؤمنين، وهو ما يدل على أن الإيمان ليس رتبة واحدة لا تتغير، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه، ويفرقون بين الكفر الأكبر المخرج من الملة، وبين المعاصي التي هي دون ذلك.

أما ما يتعلق بأسماء الله وصفاته فالسلف يثبتون ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل، ويعتقدون أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] كما أثبتوا لله المشيئة والخلق والكتابة دون تعطيل أو جبر^(٢).

ثانياً: مواطن الخلاف مع الخوارج

خالف الخوارجُ السلفَ في جملة من المسائل المتعلقة بأركان الإيمان، ومن أبرزها: تعطيل الصفات، والتكفير بالمعصية والتخليد في النار، والقول بخلق القرآن، وإنكار شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للعصاة من أمته، وإنكار ميزان الأعمال والصحف، وإنكار رؤية المؤمنين ربهم في الدار الآخرة^(٣)؛ وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في المطلب الثاني من المبحث الثاني.

(٢) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري (ص: ٦٣) وما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإلكائي (١/٢)، (١/٥)، والعقيدة الواسطية، لابن تيمية (ص: ٢٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للحكمي (ص: ٤٥).
(٣) انظر: الملل والنحل (١١٤/١)، مجموع الفتاوى (٢٧٩/٣)، (٤٨١/٧)، الخوارج تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، لغالب بن علي عواجي (٢٣٣-٢٩٦).

المبحث الثاني: مظاهر انحراف الخوارج عن منهج السلف في التفسير

المطلب الأول: مركّزات الخوارج في تأويل النص القرآني في ضوء أصولهم العقدية

تعددت فِرَق الخوارج وتنوعت مذاهبهم وآراؤهم، وقد كان من البديهي - ما داموا ينتسبون إلى الإسلام ويقرّون بالقرآن الكريم - أن تسعى كل فرقة منهم إلى استخراج أدلة قرآنية تؤسس بها معتقداتها، وتبني عليها تعاليمها، ولذا، نظروا إلى النص القرآني من خلال منظار عقيدتهم؛ فما وجدوه - ولو ادعاءً - مؤيداً لأفكارهم تمسكوا به واحتجّوا به، وما بدا لهم مخالفاً لمذاهبهم سعوا إلى تأويله أو صرفه عن ظاهره، تحاشياً لما يبدد انسجام مذهبهم أو ينقض أصله.

ومن يطالع تاريخ الخوارج، ويقف على ما خلفوه من آثار تفسيرية، يدرك مدى تغلغل المذهب في عقولهم وسيطرته على منهجهم في التفسير، فلم يعملوا بالقرآن إلا فيما وافق أهواءهم، ولا تأملوا معانيه إلا في ظل سلطان مذهبهم، يستخلصون منه ما يخدم معتقداتهم، ويُغفلون ما سواها، ومما يدل على محدودية نتاجهم التفسيري، أن مؤلفاتهم في التفسير لا تكاد تُقارن بما خلفته الطوائف الإسلامية الأخرى، ويُعزى ذلك إلى انشغالهم بالحروب والخروج على الحكام، مما صرفهم عن التفرغ للعلم والتأليف، وفي هذا السياق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة، والرافضة، والزيدية، والكرامية، والأشعرية، والسالمية، وأهل المذاهب الأربعة، والظاهرية، ومذاهب أهل الحديث، والفلاسفة، والصوفية، ونحو هؤلاء"^(١).

وقد اعتمد الخوارج في تعاملهم مع النصوص الشرعية على جملة من المركّزات التفسيرية، كان لها بالغ الأثر في انحرافهم عن مقاصد الشريعة، ومن أبرزها:

١- **الإخلاص المتطرف والتعصّب المذموم للمذهب**: فعلى الرغم من اشتراك معظم الطوائف المنحرفة في خصلة التعصّب، إلا أن هذا السلوك بلغ عند الخوارج مبلغاً فاق سواهم، إذ عُرفوا بحمل السلاح وقتال الناس في سبيل ترسيخ أفكارهم، لم تكن غايتهم دينوية ولا طلباً للسلطة، بل سعوا لإعلاء مذهبهم، حتى لو كان ذلك بتحريف دلالات النصوص، وتأويلها بما يوافق معتقدهم، وإن خالف ظاهر اللغة والسياق القرآني وإجماع الأمة، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام: "وأما أهل البدع: فهم أهل أهواء وشبهات، يتبعون أهواءهم فيما يحبونه ويغضونه، ويحكمون بالظن والشبه؛ فهم يتبعون الظن وما تحوى الأنفس... بما يتأولونه من القرآن، ويحرفون فيه الكلم عن مواضعه، ويقولون إنهم إنما يتبعون القرآن كالخوارج"^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٤٩/١٣).

(٢) النبوات (٤٢٠/١).

٢- تحكيم العقل وتقديمه على النقل: جعل الخوارج من العقل حَكَمًا على النصوص، فما وافق العقل قبلوه، وما خالفه رفضوه أو أولوه، وقد عبّر عبد العزيز الثميني المصعبي^(١) عن هذا الأصل بقوله: "اعلم أن ما يجوز العقل، إذا أخبر الشرع بوقوعه، يجب أن نؤمن به على ظاهره، وندع تأويله، إذ هو مع ذلك بدعة، وأما ما أخبر به وكان ظاهره مستحيلًا في العقل، فإن صرفه عن ظاهره ممتنع، لأننا نعلم أن الشرع لا يُخبر بما لا يمكن وقوعه، فلو كذبنا العقل، وعملنا بظاهر النقل المستحيل، لأدى ذلك إلى انهدام النقل، لأن العقل أصل في إثبات النبوات التي يتفرع عنها صحة النقل، فيلزم بذلك تكذيب النقل، ثم إن كان التأويل لا يحتمل إلا معنى واحدًا صحيحًا، تعيّن حمله عليه"^(٢).

٣- الجمود على ظاهر النص: اتسم فهم الخوارج للقرآن بالوقوف عند ظواهر الألفاظ، دون سبر معانيها أو ربطها بالسياق أو أسباب النزول، لم يتعمقوا في دلالات النصوص، ولم يلتفتوا إلى مقاصدها، بل اكتفوا بفهم سطحي قد لا يمتد للآية بصلة من حيث الموضوع أو الغرض، ولم يتوقف هذا المنهج عند النص القرآني، بل امتد إلى رفض السنّة النبوية والآثار الصحابية والتابعة المبيّنة والمخصصة والمقيدة والناسخة للنص، فضلًا عن تجاهلهم للإجماع وما يتصل بأسباب النزول، هذا الجفاء للسنّة والآثار فتح لهم باب التأويل الفاسد، فأساءوا فهم النص، وفسّروه بما لا يحتمله، وقد نبّه الأشعري إلى هذا بقوله: "فمنهم - أي الخوارج - من يميز الاجتهاد في الأحكام، ومنهم من لا يرى ذلك، بل يجمد على النص فيقول بظاهر القرآن"^(٣).

ويُعَدّ التمسك الحرفي الظاهري شكلاً من أشكال التأويل المذموم، إذ قد يكون الظاهر غير مراد لقريّة صارفة، أو يكون مندرجاً ضمن معانٍ متعددة يتعين الجمع بينها، وعلى هذا الأساس صنّفهم شيخ الإسلام ضمن طائفة "المؤولة"^(٤)، إذ يقول: "والخوارج لا يتمسكون من السنة إلا بما فسّر مجملها، دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرحمون الزاني، ولا يرون للسرقة نصابًا، وحينئذ فقد يقولون: ليس في القرآن قتل المرتد، فقد يكون المرتد عندهم نوعين"^(٥)؛ ومن ثم، فإنهم لا يعملون بالسنة عند تعارضها مع

(١) هو: عبد العزيز بن إبراهيم بن عبدالله الثميني، الملقب بـ(ضياء الدين)، من علماء الخوارج المغاربة، له كتب كثيرة منها: مختصر حواشي ترتيب مسند الربيع، معالم الدين في علم الكلام، وغيرها، توفي سنة (١٢٢٣)، انظر: أعلام الخوارج، قسم المغرب (٢/٢٥٥).

(٢) نقل بواسطة: المدخل العام إلى دراسة العقيدة الإسلامية، أحمد بن حمد الخليلي (ص: ٢٦).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١/١٨٣)، وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، (١/٢٧٩).

(٤) انظر: القواسم المشتركة بين الخوارج والحدائث في تأويل المعاني القرآنية د. طه عبد الجبار، د. عبد القادر شكيمة، مجلة المدونة؛ ٩(٢)، نوفمبر (٢٠٢٢ م) (ص: ٤٦٦-٤٨٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/٤٨).

أصولهم، وإن زعموا التمسك بالقرآن، فإنهم لا يأخذون منه إلا ما وافق ظاهرًا مجتزأً من سياقه، ويرفضون بيان السنة لما أجمله^(١).

المطلب الثاني: انحرافهم في أصول الإيمان من واقع تفسيرهم

وافق متأخرو الخوارج فرقة المعتزلة في أكثر آرائهم الكلامية، واتفقت أقوالهم في جمع من المسائل العقدية كالوعد والوعيد، والقول بخلق القرآن، وقد عيّنت المتأخرين خاصة لأن متقدمي الخوارج لم يكن لهم رؤية مستهدفة حول ما أثاروه من فتنة، وما اعتقدوه من آراء؛ فالخوارج الأولون كانوا بعيدين كل البعد عن الآراء الفلسفية والنظريات العقلية، وكانت مقولاتهم تنبع في معظمها من سوء الفهم لنصوص الوحيين، والإسقاط الباطل للنصوص على الوقائع الحاضرة، وغلب عليهم العنف والخروج والتكفير، ورفع السيف بوجه أهل الإسلام، ولم يعرف فيهم الكلام وتأويل الصفات إلا بعد ظهور المعتزلة ومتكلمي الشيعة، أما أولوهم الذين عاصروا الصحابة والتابعين، فقد سبقوا هذه المقولات المنسوبة للجهمية والمعتزلة^(٢). وقد خالف الخوارج مذهب السلف في جملة من المسائل والأصول العقدية، مثلت في مجملها الفهم السقيم، والغلو والتطرف في الدين، ومن أبرز ما خالفوا به منهج السلف:

الأول: تعطيل الصفات

ضلّ الخوارج في باب توحيد الأسماء والصفات، ووقعوا في شرك التعطيل، فرأبهم والمعتزلة في باب توحيد الأسماء والصفات سواء، وهو النفي والتعطيل، يقول الأشعري: "أما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة"^(٣).

وأقر ذلك مفسرهم محمد أطفيش الجزائري^(٤) حيث قال: "إن مذهبنا ومذهب هؤلاء -أي: المعتزلة- ومن وافقهم تأويل الآية عن ظاهرها إلى ما يجوز وصف الله"^(٥).

(١) تأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه، الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والباطنية، وأهل الكلام، والصوفية، لحمد بديع موسى، (ص: ١١٥-١١٩).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري (٢٣٦/١).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١٠٨/١) وانظر: الشرك في القديم والحديث، محمد زكريا أبو بكر (٨٠٥/١).

(٤) هو: محمد بن يوسف أطفيش، مجتهد، من أكابر العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الإصلاحية الحديثة في الجزائر، من آثاره في التفسير "هميان الزاد ليوم المعاد" طبع في ستة أجزاء، و"التيسير" في سبعة أجزاء، و"داعي العمل ليوم الأمل" في أربعة أجزاء، فسر فيه القرآن من سورة الرحمن إلى سورة الناس توفي سنة (١٣٣٢هـ)، انظر: الأعلام للزركلي (١٥٦/٧)، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (٦٥٨/٢).

(٥) هميان الزاد إلى دار المعاد (١٠٦/٢).

ومن أمثلة ذلك في تفاسيرهم: ما جاء في تفسير هود بن محكم^(١) لقول الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] حيث فسر صفة الرضا بالثواب^(٢) ونفى عن الله صفة الرضا. كذلك ما جاء في "هميان الزاد" لأطفيش عند تفسيره لصفة المجيء في قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] يقول: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾: على حذف مضاف أي أمر الله، بدليل قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) والحاصل، أن مذهبنا ومذهب هؤلاء - يريد المعتزلة ومن وافقهم - تأويل الآية عن ظاهرها إلى ما يجوز وصف الله به^(٣)، ويقول في تفسيره الآخر "تيسير التفسير" عند تفسيره لنفس الآية: "إن المعنى يأتيهم أمره أو بأسه"^(٤)، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] يقول المفسر في نفس التفسير: "وجاء ربك، أي أمر ربك، أو قضاؤه، أو لا حذف لكن تمثيل لظهور آيات قدرته وآثارها تعالى عن التحيز والانتقاء"^(٥) ففي الموضعين نفى الصفة وعطلها، وأول ذلك بالأمر أو البأس.

الثاني: إنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة في الدار الآخرة

ذهب الخوارج إلى نفى رؤية المؤمنين لله تعالى بشبه باطلة واهية، وقرروا ذلك في كتبهم وأولوا آيات الرؤية تبعاً لمعتقدهم في استحالة رؤية المؤمنين بهم يوم القيامة؛ مخالفين بذلك منهج السلف الذين أجمعوا على إثبات رؤية المؤمنين ربهم في عرصات القيامة، وفي الجنة، مستندهم في ذلك الأدلة الصريحة من القرآن الكريم، والأحاديث المتواترة.

ومن أمثلة تأويلهم لآيات الرؤية: ما ذكره هود بن محكم عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] أي: ناعمة (إلى ربها ناظرة) أي: تنتظر الثواب، وهي وجوه المؤمنين، وحدثني مسلم الواسطي قال: سمعت أبا صالح يقول في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ٢٢ إلى رُبَّهَا نَازِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٢-٢٣] قال: تنتظر الثواب من ربها، قال أبو صالح: ما رآه أحد ولا يراه أحد^(٦).

(١) هو: هود بن محكم بن هود الهواري، مفسر من علماء الخوارج، كان والده قاضيًا بتيهرت، على عقيدة الخوارج مؤول في باب الصفات، له تفسير يسمى: (بتفسير كتاب الله العزيز) اختصره من تفسير يحيى بن سلام، وهو أول تفسير كامل للخوارج، وطريقته توفي في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري، انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (٢١٣/٢).

(٢) تفسير كتاب الله العزيز (١٢/١).

(٣) تفسير كتاب الله العزيز (١٦٠/٣).

(٤) تيسير التفسير (١٣/٢).

(٥) المصدر السابق (٢١٦/١٦).

(٦) المصدر السابق (٤٤٤/٤).

الثالث: إنكار الشفاعة:

يرى الخوارج أيضاً أن الشفاعة خاصة للمؤمنين الأتقياء وحدهم يوم القيامة، أما العصاة ومرتكبو الكبائر من أمة محمد وأهل الموقف فليس لهم منها نصيب، ولا يدخل عبد الجنة إلا وقد علم منزله الذي صار إليه باعتقاده وإقراره وعمله، فإذا دخل منزله فلا يتحول عنه أبداً^(١)، ومما يدل على ذلك ما جاء في تفسير هود بن محكم، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] حيث قال: "لأنّ الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين"^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُ شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣] أي لا يشفع لها أحد عند الله، لأنّه لا تكون الشفاعة إلا للمؤمنين خاصة^(٣).

وقال الخليلي^(٤) في تفسيره، عند تأويله لهذه الآية: "هذه الآية - كما ترون - قاضية بعدم قبول الشفاعة يومئذ وهو الذي تقتضيه أختها آية (١٢٣) وإن عبّر فيها بـ(لا تنفعها شفاعة) لأن النفع ثمرة القبول ولازمه، فلو قبِلَتْ نفعَتْ، كما أنّها إذا لم تقبل لم تنفع، وهذه كلفة من كليات العقيدة الإسلامية الحقّة جاء بها القرآن في آيات متعددة ليثبت أن الإنسان يومئذ رهين عمله ولن يجني إلا ما زرع، وهو بذلك يقطع حبال الآمال على الكسالى، الذين يمتنون أنفسهم الجني من غير غرس، والراحة من غير نصب، فيعطون أنفسهم هواها، فلا يصدونها عن حرمة، ولا يكلفونها واجباً أملين السعادة بشفاعة الشافعين"^(٥).

فاستدلّوا بهذه الآية على نفي الشفاعة عن أصحاب المعاصي، وهذا مخالف لمذهب السلف في ثبوت الشفاعة لأهل الموقف وللعصاة وللمؤمنين ولمن دخل النار من عصاة المؤمنين، وأنّ أهل الكبائر تنالهم الشفاعة^(٦) قال ابن تيمية: "وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته"^(٧).

(١) انظر: البعد الحضاري لعقيدة الخوارج، فرحات بن علي الجعبري (٧٠١/٢)، منهج هود بن محكم في التفسير سعاد وغيشي (ص: ١٦٧).

(٢) تفسير كتاب الله العزيز (١٠٣/١).

(٣) المصدر السابق (١٤٢/١).

(٤) هو: أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي الإباضي، مفتي سلطنة عمان، معاصر، ألف كتاباً انتصر فيه لمذهبه سماه {الحق الدامغ} ينكر فيه رؤية الله يوم القيامة، والقول بخلق القرآن، والقول بتخليد الفساق في النار، وينكر أحاديث الآحاد في مجال الاعتقاد، إلى غير ذلك من الانحرافات، كما ألف في التفسير كتاب سماه جواهر التفسير أنوار من البيان والتنزيل، انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائقهم، وليد الزبيري وآخرون (١٨٥/١).

(٥) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل (٢٥٩/٣).

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ص: ٤٤٤).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٠/١).

الرابع: إنكار ميزان الأعمال والصحف:

فإنكار الميزان من شأن المبتدعة، فهم لا يعتقدون أن الميزان الذي يضعه الله لحساب عباده عبارة عن ميزان ذي كفتين ولسان، توزن فيه صحائف الأعمال الحسنة وصحائف الأعمال السيئة؛ بل يعتقدون أنه تمييز الأعمال وتفصيلها والمجازاة عليها؛ لأن أعمال العباد فيما يعتقدون أعراض وليست أجساماً^(١). لذا أول الخوارج آيات الميزان وأحاديثه تأويلاً خالفوا به منهج السلف، ووافقوا فيه المعتزلة والشيعة، وأعملوا عقولهم في آيات الله، وصرفوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير وجهها، فخرجوا بذلك عن منهج السلف.

مثال ذلك ما قاله أطفيش في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨] "الوزن: القضاء والعدل، وذلك تصويرٌ للمعقول بصورة المحسوس للبيان، وعلى هذا كثيرٌ من متأخري قومنا، وكذلك نحمل ما ورد في أحاديث من ميزان العمود والكفّات وطيش الكفة وثقلها على رجحان الحسنات والسيئات وبالعكس، دون الوزن للمعقول، وتحتل تلك الأحاديث الوضع، وذلك مذهبنا ومذهب المعتزلة"^(٢).

الخامس: التكفير بالكبائر والقول بالتخليد في النار:

يرى الخوارج أن من ارتكب كبيرة فهو كافر مخلد في النار - إن لم يتب منها - وعليه فعندهم أن كل من دخل النار لا يخرج منها^(٣). هذا حكمهم في الآخرة أما أحكامهم في الدنيا فأحكام الكفار، ودارهم دار كفر، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم^(٤).

وقد بنوا أساسهم في هذا على أنه لا يوجد وسط بين الإيمان والكفر؛ إما كفر، وإما إيمان، ولا ثالث لهما؛ قال شيخ الإسلام: "وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يروونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك"^(٥)، وقال أيضاً: "فلما شاع في الأمة أمر الخوارج، تكلمت الصحابة فيهم، ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث فيهم، وبينوا ما في القرآن من الرد عليهم، وظهرت بدعتهم في العامة"^(٦)، وقال: "ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأئمة"^(٧).

(١) انظر: قواعد الإسلام للجيطالي (١٧/١).

(٢) تيسير التفسير (١٢/٥).

(٣) انظر: الفصل في الأهواء والملل والنحل، لابن حزم (٥٣/٤)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحكمي، (٨٥٦/٢).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية (٢٤٣/٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٨١/٧).

(٦) مجموع الفتاوى (٤٨٣/٧).

(٧) المصدر السابق (٤٨١/٧).

ومن الأمثلة على ذلك: ما فسر به هود بن محكم قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨] قال هود: "أي: إلا ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم"، ثم قال: "وذكر هاهنا ما افترت الفرقة الشاكّة من أنّ قوما يدخلون النار، ثم يخرجون منها بالشفاعة، فإنّ هذا موضعه وموضع الردّ عليهم"^(١).

وقال أطفيش في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] "وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلدون"، وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] الآية دليل على خلود الفاسق، ولاد ليل مُستلّم على تخصيص الخلود بالمنكر"^(٢).

وخالف الخليلي مذهب السلف في تأويله للسيئة في قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] حيث قال: "وإطلاق السيئة هنا يتناول كلّ معصية، من غير تمييز بين صنف وآخر؛ لأنها نكرة في سياق الشرط... وكثير من هذه الأمة... أخذوا يؤولون الآيات الوعيدية تأويلاً بعيداً عن مدلولها البين، ويجزفون معانيها حتى تتفق مع معتقداتهم المخالفة للنصوص الجليّة، فحصرُوا السيئة هنا في الشرك، مع فقدان أي قرينة شرعية أو وضعية تقيد إطلاقها، إلا ما توهموه من أن قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يدلّ على ما ذهبوا إليه، والحقيقة عكس ما قالوه كما سيأتيكم بيانه"^(٣).

فهذه ثلاثة أمثلة من ثلاثة تفاسير سار مؤلفوها على منهج الخوارج، فقرروا معتقدتهم في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، وأنه مخلّد في النار، مخالفين بذلك تفسير السلف وأئمة المفسرين.

السادس: القول بخلق القرآن:

قول الخوارج في القرآن كقول المعتزلة القائلين بخلق القرآن، ومن الأمثلة على ذلك: ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] قال الخليلي "النسخ دليل على أن القرآن حادث مخلوق، ولا تثبت الكلام النفسي، فضلاً عن أن يُقال: النسخ من عوارض ما يتعلق به الكلام النفسي، وهي الأفعال في الأمر والنهي، والنسب الخبرية في الخبر، وفي إثبات الكلام النفسي إثبات كون الله ظرفاً ومتحيّزاً، وإن رجع ذلك إلى العلم لزم أن كلّ ما علمه قديم، والقرآن هو هذه الألفاظ لا غيرها"^(٤).

(١) تفسير كتاب الله العزيز (٢/٢٥٠).

(٢) هيمان الزاد (٣/٤١٢).

(٣) جواهر التفسير (٢/٥٠٨).

(٤) تيسير التفسير (١/٢١٦).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] قال هود بن محمّد «قوله: (جعلناه) أي: خلقناه»^(١).

فزعم الأول أن وقوع النسخ في القرآن دليل على حدوث القرآن وخلقّه، واستدل الثاني بهذه الآية على أن القرآن مخلوق مخالفين بذلك دلالة الوحيين وإجماع السلف في أن كلام الله تعالى منزّل غير مخلوق^(٢).

الخاتمة:

يعد هذا البحث الموجز لأصول الإيمان التي خالف فيها الخوارج منهج السلف الصالح ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة يتبين التالي:

أولاً: من أجود ما قيل في تعريف الخوارج تعريف الإمام أبي الفتح الشهرستاني حين ذكر أوصافهم وجلاّها بقوله: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان".

ثانياً: ارتكز الخوارج في تأويلهم للنصوص على مرتكزات ثلاث: أولها: الإخلاص الشديد والتعصّب المذموم للمذهب، والثاني: تحكيم العقل وتقديمه على النقل: فإذا وافق المعنى العقل قبلوه وإن خالفه رده، والثالث: الجمود على ظاهر النص دون الالتفات للآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثاً: يصرح الخوارج في كثير من عقائدهم أنهم على مذهب المعتزلة، لا سيما في مسائل الأسماء والصفات، وفي القول بخلق القرآن.

رابعاً: يذهب الخوارج إلى القول بنفي الرؤية، وتأويل آيات الرؤية تبعاً لمعتقدهم في استحالة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

خامساً: يرى الخوارج في الوعد والوعيد أن من عصى الله عز وجل ولم يتب قبل موته فحق على الله أن يدخله النار ويخلد فيها، وكذلك المؤمن إذا مات مؤمناً، يجب على الله أن يدخله الجنة ويخلد فيها، اتباعاً للمعتزلة.

سادساً: ذهب الخوارج إلى إبطال شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف ولأصحاب الكبائر، ويعود ذلك لتمسكهم بأصل الوعد والوعيد.

سابعاً: ينكر الخوارج وجود الميزان يوم القيامة وأن يكون ميزاناً حقيقياً توزن به الأعمال والصحف: بل يعتقدون أن الميزان يراد به تمييز الأعمال وتفصيلها والمجازاة عليها؛ لأن أعمال العباد فيما يعتقدون أعراض وليست أجساماً.

(١) تفسير كتاب الله العزيز (١٠٧/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٤/٣).

ثامناً: لم يسلم الصحابة رضوان الله عليهم من سب الخوارج وطعنهم فيهم، خاصة كبار الصحابة رضي الله عنهم كعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، بل وصل الأمر ببعض متقدميهم إلى درجة التكفير.

توصيات البحث:

- ١- الاعتناء بتفسير السلف وإظهاره لعامة المسلمين، وبيان أسسه ومركزاته الصحيحة التي تمكن المتلقي من التمييز بين الصحيح من السقيم.
 - ٢- الاعتناء بالتمييز العلمي المنهجي بين مذهب أهل السنة ومذهب الخوارج، من خلال إجراء دراسات مقارنة توضح الفروق الدقيقة بين الأصول العقدية لكل منهما، بهدف سد باب الشبهات التي تخلط بين المنهجين.
 - ٣- تشجيع البحوث الميدانية التحليلية التي ترصد مظاهر الفكر الخارجي المعاصر، وتربطه بمجذوره العقدية والفقهية لدى الخوارج الأوائل، مما يعين على كشف شبهاتهم، وتحذير العامة منهم.
 - ٤- العناية بتدريس مبادئ "عقيدة أهل السنة والجماعة" في المعاهد والجامعات، مع تدريب الطلاب على فقه التعامل مع النصوص وفهمها في ضوء قواعد الاستدلال السليم.
- هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع:

- الإبانة عن أصول الديانة. لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. (٣٢٤هـ). تح: د. فوقية حسين محمود، ط ١، دار الأنصار: القاهرة، (١٣٩٧).
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتاب نشر - أيضاً - بعنوان: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية). المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. (١٣٧٧هـ). تحقيق: حازم القاضي، ط ٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: المملكة العربية السعودية، (١٤٢٢هـ).
- الإيمان الأوسط. لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (٦٦١هـ). ط ١، دار طيبة للنشر: الرياض، (١٤٢٢هـ).
- البعد الحضاري لعقيدة الخوارج. فرحات بن علي الجعبري. جمعية التراث القرارة: الجزائر، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- بيان الشرع. محمد بن إبراهيم الكندي. (٥٠٨هـ). وزارة التراث القومي والثقافة: سلطنة عمان، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- تأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه، الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والباينة، وأهل الكلام، والصوفية. محمد بديع موسى. دار العاصمة للنشر والتوزيع: (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

- تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي. محمد بن عبد الله بن بھادر الزركشي. (١٧٤٥هـ).
- ١ ط، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث: (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- تفسير كتاب الله العزيز. هود بن محكم الهواري. (٢٥٠-٣٠٠هـ). دار الغرب الإسلامي: بيروت، (١٩٩٠م).
- تيسير التفسير. محمد يوسف أطفيش. (١٣٣٢هـ). تحقيق: إبراهيم طلاي، ط ١، (١٤٢٥م/٢٠٠٤م).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري. (٢٥٦هـ). ط ١، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ).
- جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل. أحمد بن حمد الخليلي. ط ١، مطابع الاستقامة: سلطنة عمان، (١٤٠٤هـ).
- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام. ناصر بن عبد الكريم العقل. ط ١، دار إشبيليا: الرياض، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- الخوارج تاريخهم وآراءهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها. لغالب بن علي عواجي، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، (١٣٩٨-١٣٩٩).
- الرسالة التدمرية. لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية. (٦٦١هـ). ط ٢، المطبعة السلفية: مصر، القاهرة، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي. (٤١٨هـ). ط ٨، دار طيبة: (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز محمد بن علاء الدين الحنفي. (٧٩٢هـ). تح: شعيب الأرناؤوط - وعبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١٠، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- الشرك في القديم والحديث. محمد زكريا أبو بكر. ط ١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع: الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (٨٥٢هـ). إخراج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت، (١٣٧٩هـ).
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها. غالب بن علي عواجي. ط ٤، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر: جدة، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- الفصل في الأهواء والملل والنحل. لعلي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي. (٤٥٦هـ). مكتبة الخانجي: القاهرة.
- القواسم المشتركة بين الخوارج والحداثيين في تأويل المعاني القرآنية. د. طه عبد الجبار، د. عبد القادر شكيمة. مجلة المدونة، ٩ (٢)، نوفمبر (٢٠٢٢م).

قواعد الإسلام. اسماعيل بنت موسى الجيطلالي. (٧٥٠هـ). مكتبة الضامري للنشر والتوزيع: مسقط، سلطنة عمان، (٢٠١٥م).

لسان العرب. لمحمد بن مكرم بن منظور. (٧١١هـ). ط٣، دار صادر: بيروت، (١٤١٤هـ).
لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضىة في عقد الفرقة المرضية. لمحمد بن أحمد بن سالم الحنبلي السفاريني. (١١٨٨هـ). ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها: دمشق، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

مجموع الفتاوى. لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (٦٦١هـ). تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

المدخل العام إلى دراسة العقيدة الإسلامية. لأحمد بن حمد الخليلى. مكتبة الاستقامة: سلطنة عمان، (١٤٠٤هـ).

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي. (١٣٧٧هـ). تح: عمر بن محمود، ط١، دار ابن القيم: الدمام، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

معجم الفرق والمذاهب الإسلامية. لإسماعيل العربي. ط١، دار الآفاق الجديدة: المغرب، (١٩٩٣م).
معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر. لعادل نويهض. ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر: بيروت، لبنان، (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

معجم مقاييس اللغة. لأحمد بن فارس القزويني. (٣٩٥هـ). تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. لعلي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري. (٣٢٤هـ). تح: نعيم زرزور، ط١، المكتبة العصرية: (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

الملل والنحل. لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني. (٥٤٨هـ). مؤسسة الحلبي: القاهرة، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (٦٦١هـ). تح: محمد رشاد سالم، ط١، الملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

منهج هود بن محكم في التفسير. لسعاد وغيثي الجزائر؛ باتله؛ جامعة الحاج لأخضر، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائقهم. وليد الزبيري وآخرون. مجلة الحكمة، ط ١، بريطانيا؛ مانسستر، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

النبوت. لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (٦٦١هـ). تح: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط ١، أضواء السلف: الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
هيمنان الزاد إلى دار المعاد. لمحمد يوسف أطفيش سلطنة عمان. ط ٢، وزارة التراث القومي والثقافة: (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).